الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

مـــن دفـــتر الأهـــوار

أمـــين .. جـماهـير الـتـحـق بـه وفـيـافي أورقـــت أمـيـنـاً

رشيد الخيُّون

بين حزيران ١٩٧٢ وحزيران ٢٠٠٩ تكون قد مرت على اغتيال أمين الخيُّون سبع وثلاثون سنةً، وبعد سنة واحدة قُتل ناظم كزار، فحُمل كل ما شارك به صدام حسين من مقاتل، واغتيال أمين واحدة منها. فكانت زوجته في الطب العدلي فقدت صوابها، ولم تلتفت للمخاطر التي حولها، عندما أخذت تشتم الأثنين معاً، وكانت صادقة إلى ما ذهبت إليه.

اغتيل وفيافي لم يتعد عمرها العام الواحد، لألتقيها بعد ثلاثين عاماً بلندن وهي تحمل طفلين. كنت أبحث عنها وعن أخيها أنـوار. بعد أن سمعت بوصولهما بلاد الإنكليز. وهما البقية الباقية من عائلة هدتها السجون والاغتيالات. فبعد اغتيال الأب (٢٦ حزيران ١٩٧٢) بمشنقة يدوية –آلة جديدة في الخدمة آنذاك– قتلت الأم خنقاً، ولعلها بالآلة الرهيبة ذاتها. كانوا مجموعة من الشباب يشاركوننا برحلة عامة خارج لندن، يغنون أغان لا تصلح إلا للحادي والثلاثين من آذار. قلت لنفسي: متى خرج هؤلاء الفتية من العراق ليحتفظوا بأغان مثل هذه، فأعمارهم لا تسمح بسماعها، ويومها كانت تغنى في احتفالات السبعينيات من القرن الماضي؟ سألت أحدهم عن اسمه، قال: يسار، وقال عن انحداره: نحن من بغداد، ولنا أقرباء بالأهوار. قلت مَنْ هم قال: أمين الخيُّون! سألته هل تعرف فيافي وأنوار. قال نعم، أنا ابن خالهما، وأشار إلى طفل يلعب قربنا، إنه أمين ابن فيافي، وتلك فيافي وزوجها! كانت نسخة من عمتها جميلة وأخيها جماهير، وفي أمين الثاني ملامح من جده.

كانت فيافي متعلقة بوالدها حتى أن هذا التعلق كان حديث النائحات. كانت تتقدمهن عمتي الحاجة فاطمة، التي هزجت أمام الطب العدلي، عند نقل جثمان أمين إلى النجف، بأهزوجة أبكت الغرباء قبل الأقرباء "راح أمون (تحبيب اسم أمين) غرب للغريرية (مقبرة النجف) وخلاها عتبته (فأره) عيب مكَطية". ففي تلك الأيام كان أمين مشغولاً بالبحث عن قاتل شقيقه جميل، أحد مقاتلي الكفاح المسلح بالأهوار (١٩٦٨-١٩٦٩). قتلته غيلة الجمعيات الفلاحية ذات المهمات الأمنية، وحُكي لنا، في ما بعد، أن جميلاً قاتل غادريه حتى النفس الأخير، وبعد قتله رموا جثته بين القصب والبردي، ليدفن في قاع الهور، و معلوم أن أسماك الهور لا تفترس البشر.

كانت دار أمين الخيُّون تواجه الهور مباشرة، مستقبلة خنازيره وأفاعيه، وظلت لزمن طويل مصدراً لحكايات عجيبة وغريبة. فأشجار السدر والغْرَب، الكثيفة حولها، تحولها بعد الغروب إلى قلعة مسكونة بالجان. كيف لا وبأوراق شجرة السدر تطهر أجساد الموتى، وشجرة الغربة لا تنبت إلا غريبة على حافات الأنهر خارج الديار، حيث يظهر الطنطل ليلاً ويختفي بين أغصانها نهاراً. يصنع من شجرة الغربة الصابئة المندائيون مقابض المناجل وأعواد المساحي، وهياكل القوارب، وتعطي أغصانها المورقة طوال أيام السنة، وهي تتدلى إلى الماء، ظلا بارداً، وعادة تألفها العصافير وتنفر منها الغربان والعقبان. كان حسين الخيُّون والد أمين من الذين يربطون ركبهم في المعارك بين العشائر، خشية من الضعف والهرب. ومثل هؤلاء كانوا يخوضون معارك يمر فيها الرصاص من بين أيديهم كقطرات مطر، بينما قتل فيها مَنْ "يحتسب للموت ألف حساب". رأيته أواخر حياته، لم يبق منه غير رسم متعب، وبقايا صوت كان منذ زمن يهز المسامع لخشونته. يقف أمام مضيفه المنحني وهو لا يملك ثمن القهوة لزائريه، حتى شاع بالمنطقة أنه يدق الهاون فارغاً، ليشعر الناس بوجوده! وبعد وفاته طهر بدنه بأوراق سدر الدار، وتناهبت قصب المضيف الرياح وعوادي الزمن. مات في نهاية الخمسينيات، ولم يحضر جنازته أمين، لانشغاله في العمل الحزبي بين بغداد والبصرة، ففي عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩ كانت شحة في الكادر ووفرة في المنتسبين.

ظلت أم أمـين، عمة الأكـاديمـي سعيد الأسـدي والأديب حبيب الأسدي، رابضت بالدار، تتعايش مع الحكايات العجيبة، تهش الأذى عنها، وتعيش من ثمر النخيلات والسدرات، ولا أحد يقرب منها لأن دارها أصبحت قلعة شيوعية، فأمين شق طريقه ليصل إلى عضو المنطقة الجنوبية، بعد أن اتخذ من البردي المحيط بها وكراً.

ظل أمين متحمساً حتى لحظة اغتياله لعمل ثوري ما، وكنا نعرف ذلك عن قرب، ولم ينتم إلى ما عرف بالقيادة المركزية. لأن طريقه في الكفاح المسلح كان شيئاً آخر، ويعتبر نفسه هو المؤسس لمثل هذا الكفاح، إذن هو جيفارا العراق لا غيره. وظل مستقلاً بجماعته بالأهوار الجنوبية، رغم محاولات الجماعات الأخرى في اقناعه بالانضمام إليها. اعتقل (شباط ١٩٦٨) بالناصرية بعد محاولة السيطرة على مالية قضاء الجبايش، التي كان يحملها عادة موظف المالية بحماية شرطي أو شرطيين.

ليلتها أفقنا على صوت رصاص أتى من حافة الهور الشمالية، وإذا بسرية شرطة كاملة ترافق موظف المالية، حميد حرامي (هكذا كان اسمه والاسم ليس على المسمى بل كان في غاية الأمانة والنزاهة)، ومعها جهاز لاسلكي وعدد من الرشاشات، هي كل ما جمعه أمين خلال عمله السري بالمنطقة. أخبرني آنـذاك مسؤول في أمـن الناصرية أن الحارس المكلف بحراسة أمين طلب إعفاءه من المهمة لأن في كلامه ما يـؤدي إلى التعاطف معه، وقد يغريه أن يكون شيوعياً! وفعلاً كانت الأفكار على لسان أمين مقنعة، وسرعان ما تتحول إلى عاطفة حية، تجعل كلمات رأس المال سهلة الفهم، وفي مقدمتها ما حصة المواطن من النفط.

بعد إطلاق سراحه من قصر النهاية زار الجبايش، وكنت مزهواً بمرافقته ونحن نشق طريقنا وسط سوق المدينة. سألني عن الشخص الذي حشر نفسه لمسايرتنا، قلت إنه عبد الزهرة آل رزيج، مرافق نائب رئيس الحرس القومي، عباس حمادي، بالناصرية، واليوم رجل أمن بالمنطقة. ما كان منه إلا طرده بالقول: "إذا كنت ترافقنا كرجل أمن فنحن نعرف طريقنا"، انسحب الرجل ولم ينبس بكلمة! وأثناء التجوال في السوق رأينا مسؤول حزب البعث يسير مع مفوض الأمن، وقفا معنا دون أن يعرفهما، وبعد مغادرتهما سألني عنهما فقلت له: أنهما مسؤول البعث جميل، ومفوض الأمن سعود. حينها نادى عليهما بالقول: أرجو منع سيارات البلدية من الأخذ من تراب دارنا، فلم يبق فيها غير والدتي. قال لي جميل في ما بعد: "هل يحتاج أمين إلى شيء آخر، فكل طلباته مستجابة".

حكى لنا أمين الكثير حول لقاءاته بمسؤولي حزب تودة الإيراني، يوم كان مسؤولاً لمحلية البصرة، بعد شباط ١٩٦٣، وحول منظمة الحزب بالكويت، وقصر النهاية، وهروبه المتكرر من سجن بغداد، وكيف كانت زوجته تطالب إدارة السجن به بعد هروبه بساعات، لتخفي أثره. اختفى فترة طويلة بالأهـوار، وهنـاك وُلـد لـه جماهير، وكـان يؤتى بالطفل سراً للعلاج عند طبيب المنطقة، وكنا نسمع بعون القائممقام الكردي سعاد الطالباني أبي كاوة للشيوعيين في فترة الحرس القومي، بعد نقل القائم مقام الموصلي توحلة.

ظل اسم القائممقام أبي كاوة متداولاً على الألسن بالمنطقة، التـي وصلها يـوم كـان هتـاف المعلم الفلسطيني فايد: "وطن عربي واحد، شعب عربي واحد"، أعلى من صوت المؤذن. كان الطالباني طويل القامة بهي الطلعة، أشيب الصدغين، رافضاً الوضع القائم بصمت مطبق. وقد حصل أن سقط الحرس القومي وهو ما زال قائممقام الجبايش، فعرفنا بعد ذلك أن سعاد كان يحمي الشيوعيين بمنزله، الذي يقع وسط وملحقاً بمركز الشرطة ودوائر الدولة. وأبرزهم هؤلاء كان أمين الخيُّون وزوجته، الذي ظل يُقاوم الانقلاب بالكاظمية مع عدد من المقاتلين، ولم يجد مكاناً آمناً سوى الأهوار.

ظل سعاد الطالباني قائممقاماً بالجبايش سنة أخرى، وسط حفاوة الناس، وكان صديقاً حميماً لعمّي رئيس البلدية طـارق الخيُّـون، الـذي كان يبغض الشيوعيين جداً، لكنه حمل لسعاد التقدير العميق، فهو الآخر، رغم كرهه للشيوعيين، نال ما نال من استهتار الحرس القومي. أتذكر جيداً كلمة التوديع التي ألقاها طارق الخيُّون، ودموعه تنحدر مع كلماته، بمضيف آل خيون الكبير، وسط بيارغ العشائر وأهازيجهم، فقد أشاد بشجاعة القائممقام سعاد، وصبره، وتحمله مسؤولية إيواء المطلوبين للقتل، فقد كان الخطر منه قاب قوسين أو أدنى. حينها لم تقف القومية ولا المذهب حاجزاً أما عواطف الناس. كنا نعرف، في محيطنا العائلي، أن أمين الخيُّون متوار ببيت القائممقام، وببيته في طرف المدينة على مشارف الهور. كان رئيس عرفاء الشرطة مناتي عاتي الأسدي يرد عن أمين أخبار المخبرين، ويفشل بطريقته محاولات اعتقاله. لقد شاهدنا مرة انسحاب أمـين إلى المـاء، وظل طافياً بـين البردي ساعات إخمـاد الحـريق الـذي شب ساعة الظهيرة بداره، ورئيس العرفاء يتجول بين الناس، ومثلنا كان يعرف مكان أمين، لكن أخـلاق العشيرة طغت في نفسه على أخـلاق الشرطة. بحزن وألم سمعت متأخراً بوفاة القائممقام ورئيس عرفاء الشرطة، رحمهما الله وجزاهما خيرا.

قبل اغتياله بيومين كنا متحلقين حول أمـين بدار قريب لنا في أطراف الكاظمية، نسمع منه شروحات حول اقتصاد النفط وتركيب السلطة القائمة، ففي تلك الايـام كـان الحـديث حـول تأميم النفط. حتى دفعت شروحاته أحد الجالسين وهو من البسطاء إلى القول بصوت عـال: "انهجم بيتكم الشيوعيين على هل الفهم". كـان أمـين ينـوي تعمير دارهـم بالجبايش، ويخطط لزراعتها لتكون نموذجاً من التعاونيات، ولم يتم له هذا، لأن حركة أمين الخيُّون لخطورتها كانت من مقررات التدريس في صفوف الجهاز الأمني المتقدمة في حزب البعث، فكيف يُترك والأهوار كانت عامرة بمائها وأحراشها؟

اغتيل أمـين في ظهيرة من ظهاري تموز الحارقة، وبعد انتهاء مجلس الفاتحة قال لنا عباس حمادي، نائب مسؤول الحرس القومي بالناصرية، وقيل كان أحد المسؤولين، حسب ما سمعت، عن مقتل عامل الكهرباء الشيوعي سيد وليد ودفنه حياً. قال: "كيف يأمن أمـين التجول ببغداد بلا سلاح، وهو ينوي مشاكسة السلطة من جديد"؟! والعبارة التي صدرت من بعثي بيده السلطة والسلاح وصلة بجهاز المخابرات، تشير إلى أن أميناً لم يجمد تمرده في دائرة الأموال المجمدة، ولم يحقق للبعث التوبة المطلوبة. ولـديَّ دليل آخـر على عدم مهادنة أمين للبعثيين: قبل اغتياله بشهور جاء أمين، وكنت طالباً في الصف الخامس الثانوي، وأخبرني أنه يحتاجني للعمل معه، ولم يفصح لي عن المهمة، إلا أنه قال: جهز نفسك، والأمر يستوجب السرية والحذر". ولما أغتيل قلت أمين كان يهيئ لشيء ما. فقال لي شقيقي الأكبر، الذي أعدم هو الآخـر، في مابعد، لانضمامه لحزب الدعوة : "كيف عرفت هذا"؟ ولما أبلغته بكلمات أمين، رد مـحذراً: "لا تفتح فاك أمام أي مخلوق ففيها قتلك".

وفعلا لم أفصح بما قاله أمين إلا في هذه السطور. أما ما قرأته في رواية الكاتب السوري حيدر حيدر "وليمة لأعشاب البحر" حول أمين، فلم أجده منصفا أو صحيحاً، وفيه ما فيه من الاسفاف والتجني، بل الذنب ليس ذنب حيدر بقدر ما هو ذنب الحكواتي غير الأمين، فحيدر لم يعرف الهور ولم يعرف أمينا وهو السوري.

سألت فيافي عن بقايا الدار قالت: "عمو ما زالت عارية، كان الأمل بجماهير لكنه غاب. ثم كان الأمل بضياء ابن عمي جميل لكنه قتل في حرب الكويت"! أما هي فيكفيها أنها أورقت أميناً، وتحزمت مع المحيطين بها وانتخبت الرقم ٣٢٤. قلت لها أما اخترتي غيرها، قالت: "عمو: كأنك نسيت أنا ابنة أمين وبتول وشقيقة جماهير"!

يوم قتل أمين كان عمر جماهير تسعة أعوام، وكنت ببيتهم لما عاد من المدرسة، مع شقيقه، متشاجرين مع زملائهم، وسمعت الأب يغرس فيهما الشقاوة التي كان عليها. فما أتذكره، مما سمعته من الجيل الذي يكبرنا، أنه في فورة الشباب والمراهقة الحزبية، هدد أمين بالقتل معلمنا المهذب والأنيق، لما انتمى إلى الحزب الشيوعي وانسحب منه. قتل أمين ولحقه جماهير على الطريق نفسه، بعد لقائي معه بعدن، عاصمة جمهورية اليمن الديمقرطية، وهو يتدرب في كليتها العسكرية، بعد أن تسرب من كردستان إلى بغداد. ليظهر، عقب، التاسع من إبريل ٢٠٠٣ اسمه في قوائم المعدومين بمديرية أمن الكاظمية.

شـــــهـــــادات لـلـبـيـــع !

مهدي زاير جاسم

بعد سقوط النظام البائد عام ٢٠٠٣ وشيوع مبدأ المحاصصة، أصبحت الوزارات من حصة الكتل والأحزاب الفائزة بالانتخابات حسب الاستحقاق الانتخابي، حيث أصبحت كل وزارة تابعة لكتلة أو لحزب، وكنتيجة لهذا الوضع لم يعد إسناد المناصب على أساس الخبرة والاختصاص ، وهذا بدوره أدى بروز ظاهرة تزوير الشهادات بشكل لافت ، فأصبح الفراش دكتوراً وخريج الابتدائية الذي لا يقرأ ولا يكتب مهندساً،(ومن هلمال حمل اجمال) وتستطيع شراء أي شهادة تعجبك (بفلوسك) ولكل شهادة سعرها من الابتدائية فصاعداً وحتى الدكتوراه.

حتى وصل التزوير إلى الشهادات العليا ومناصب مهمة في الدولة من الوزير، ووكيل الوزير، والفائزين بانتخابات مجالس المحافظات وأخيراً وليس آخراً سمعنا أن المرشحين لمنصب سفير أيضا شملتهم لعنة التزوير ، ونتمنّى أن لايأتي اليوم الذي نرى أن المزوّر أصبح رئيساً للوزراء أو رئيساً للجمهورية أو عضواً في البرلمان .

أجل ، إن هذا العبث والاستهتار العلمي مشكلة في غاية الخطورة لما فيها من إجحاف في حقّ من تعب وسهر الليالي وأمضى سنين من عمره في البحث وخضع للتقويم العلمي الدقيق من قبل لجان علمية مختصة ونال شهادته بكفاءة علمية معترف بها وموثقة من أفضل الجامعات العالمية.

إنها مهزلة وكارثة علمية في غاية الخطورة حينما تمنح شهادات لغير مستحقيها، ويتقلد هؤلاء مناصب عالية وحيوية في الدولة لما يترتب عليها من انهيار في المستوى العلمي والمهارة المهنية والتربوية التي هي ركائز التقدم والنمو في أي مجتمع ...فلكم أن تتخيلوا الكوارث الإنسانية التي

قد تنجم حينما يمارس طبيب غير كفء تطبيب (التمرين والتجريب على) البشر والأمثلة عن الأخطاء الطبية المريعة لا تُعَدُّ ولا تُحصَى في العراق الجريح ، فكم مريض مات بسبب الشهادة المزورة، فأين قوانين المحاسبة الطبية ؟ لا حياة لمن تنادي... ومازال هذا الدكتور المحسوب على حزب معين يمارس مهنة الطب بلا رقيب ولا حسيب... ويعلم الله كم من ضحايا آخرين ماتوا بسبب أخطائه... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كل هذه الفوضى الناتجة عن غياب الرقابة وعدم تقويم المؤهلات العلمية، والوساطة والمحسوبية أدى إلى هجرة مئات من خيرة الأساتذة الجامعيين والأطباء والمهندسين وغيرهم في شتى المجالات من ذوي الكفاءة العالية ؛ لأنهم رفضوا أن يكونوا تحت إمرة من لا كفاءة لهم ، ورفضوا الفوضى والضغوط والتهديدات "التي مورست ضدهم لتزوير نتائج الامتحانات لفلان أو علان؛ لأنه "ابن المسؤول..." أو لأنه "واصل".

الحقيقة المؤسفة أنه ليس كل من يرجع بشهادة ماجستير أو دكتوراه من الخارج هو أهل لها.. هناك جامعات في أوروبا الشرقية وبريطانيا وآسيا وبعض البلدان العربية تقبل طلبة من ذوي المؤهلات الضعيفة ؛ بغية الربح المادي ، وفي النهاية تمنح لهم الشهادات العالية حتى ولو كانوا طلبة فاشلين لكي تضمن توافد الطلاب إليها... وهناك جامعات في أمريكا وغيرها من بلدان العالم تمنح شهادات مزيفة مقابل مبالغ مالية هائلة قد تصل إلى ١٠ آلاف دولار للشهادة... وبالتالي أصبح بيع الشهادات المزيفة سوق سمسرة رائجة لا يختلف عن تزييف العملات ...

لَقَبُ (دكتور) أو أستاذ أصبح للأسف سلعة رخيصة... فكل صيدلي يحمل لقب "دكتور" (وكل "مزور" يحمل شهادة جامعية نجده بعد فتره وجيزة من الزمن يتحول بقدرة قادر إلى دكتور دون إنجاز يذكر.. وهذا هو العبث بعينه ؛ لأن هناك مراحل ومتطلبات أكاديمية يجب أن يحصل عليها الدكتور قبل أن يترقى إلى درجة الاستاذية أهمها أن يكون له نشاط علمي ملحوظ من خلال عشرات الأبحاث ، والإشراف على طلبة دراسات عليا... أما في العراق فإن المعايير تختلف... فالولاء والتملق والواسطة من أهم الشروط للحصول على ترقيات علمية في لمح البصر ، أما من لا تتوفر فيهم هذه الشروط بالرغم من كفاءاتهم فأمرهم إلى لله.

أما كون شهادات الدكتوراه أو حتى الشهادات الجامعية التي يحصّل عليها المـزوِّرون هي في الحقيقة صفر على الشمال ولا قيمة لها... فصحيح هذا ، ولكن في العراق وفي ظل الفوضى وغياب القانون بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ فإن العكس صحيح... فكل من يحمل لقب دكتور بغض النظر عن الكيفية التي حصل بها على شهادته أو الجهة التي منحتها له... فهو في عيون الآخرين فلتة زمانه! خصوصا إذا كان يجيد التملق والنفاق ويتسلق على ظهور الآخرين... وحسبي الله ونعم الوكيل.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١ . يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .

٢ . ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com